المقدمة

يقول تعالى: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا" (سورة الشمس: ٧-١٠). وفي معنى هذه الآيات الكريمة يقول سيد قطب: "إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه. ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه" (سيد قطب، ١٩٧٥، ج٦: ٣٩١٧).

فالقرآن يعرض لنا الصراع بأبعاده المختلفة، وهو الصراع في نفس الإنسان الذي همه دنياه لا يعرف غيرها، والإنسان الذي يتردد بين دنياه وبين آخرته، والإنسان الذي همه على آخرته، ولذلك فإن علماء النفس الذين لا يعترفون بالروح لا يستطيعون فهم أنواع الصراع بين الخير والشر داخل النفس الإنسانية؛ لأن عوامل الصراع فيها ما هو مغيب، وما هو مشهود، وهذه العوامل تعمل في نفس المؤمن والكافر على السواء، فالمؤمن يستعين بالله ويستغفره ويعوذ به ويجاهد نفسه ويجاهد شيطانه، ويظل على ذلك حتى ينجيه الله ويشفيه، وينزل عليه الرضا والسكينة والأمن، والكافر يظل تحت تسلط نفسه وشيطانه وهمومه ومخاوفه، ويعيش حياته نهباً لمشاعر القلق.

والفرد يمر في حياته بمراحل نمائية متعددة، ومن الثابت علمياً أن كل مرحلة من هذه المراحل تتأثر بما قبلها وتمهد لما بعدها، أي أن النمو عملية متصلة مستمرة لا

تحدث فجأة بل تتطور بانتظام خطوة إثر خطوة. وتعتبر مرحلة المراهقة من أهم وأخطر مراحل النمو، لما بها من مشكلات وصعاب يواجهها المراهق ويحتاج فيها إلى التوجيه والإرشاد حتى يستطيع اجتياز هذه المرحلة بسلام وهدوء.

وفي المراهقة تظهر مشكلات سلوكية من أخطرها تعاطي المخدرات وألعاب القمار، والتمرد والعدوان أو الانسحاب والهرب المادي أو النفسي من العالم في أحلام اليقظة. ومن صور التمرد الصريحة التمرد على تقاليد الأسرة وأخلاقياتها وعقيدتها والمهن التي ترتضيها. هذه السلوكات لها انعكاسات خطيرة إذ من الممكن أن تستمر لما بعد المراهقة، وتؤكد معظم الدراسات على أن السلوكات المنحرفة تبلغ ذروتها في مرحلة المراهقة حيث تبرز العلاقات بين الأقران ومدى تأثرهم ببعضهم البعض في هذه الفترة النمائية.

إن التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال جعل من المقامرة عملية سهلة وميسرة، مما يقلل من الضغط والحرج الاجتماعي، فبإمكان المقامر ممارسة المقامرة خلف شاشة حاسبه الآلي دون الحاجة إلى كشف هويته للغير. حتى إن وصل المقامر إلى مرحلة إدمان المقامرة تستولي عليه رغبة كبيرة في اللعب، للعب ذاته، حتى لو تكبد خسائر كبيرة، وتقوم المكاسب من آن لآخر بوصفها مدعماً لسلوك المقامرة. وعلى الرغم من أن الدليل التشخيصي والإحصائي الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي DSM-IV لم يستخدم كلمة إدمان واستخدم كلمات مقاربة لها مثل سوء استخدام Abuse واعتمادية Dependence إلا أن بعض الباحثين قدم نموذجاً للمقامرة المرضية مشتملة على اعتمادية تصل بصاحبها إلى حد الإدمان مادامت تشتمل على عناصر تشويه الواقع بصرف انتباه الفرد عن حالته المثيرة للتوتر المزمن، واستثارة حالة من أحلام اليقظة.

ويؤدي إدمان المقامرة إلى نتائج وخيمة على المستوى الشخصي والاجتماعي والاقتصادي، فعلى المستوى الشخصي تسلب المقامرة إرادة الفرد في الاختيار فلا يعد قادراً على الإقلاع عنها، وتزيد من اعتماديته على الآخرين في توفير المال للاستمرار في المقامرة، وتؤدي به إلى ارتكاب المخالفات القانونية كالسرقة والغش من أجل الكسب وتعويض خسائره وإطالة أمد لذة الإثارة والمتعة لديه. وعلى المستوى الاجتماعي تدفع أسرته ثمناً باهظاً بسبب عوزها المادي المستمر، الأمر الذي يؤدي إلى مشكلات التفكك الأسري. وعلى المستوى الاقتصادي تعطل المقامرة أداة الإنتاج لدى الفرد فلا يعد فرداً منتجاً في مجتمعه؛ لأن كسبه لا يعتمد على نشاط اقتصادي حقيقي بل على ما يكسبه من المقامرين الآخرين.

لذا كان لزاماً علينا أن نسعى إلى تشخيص الداء، وأن نبحث عن الأسباب، وأن نبذل الجهد في العلاج. وليس العلاج مجرد قول يلقى أو نقد يوجه، بل هو أساساً تنشئة الشباب وتربيته، وإن لم يتعهد منذ البداية عزَّ تداركه فيما بعد:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وقد حاولت أن أعمل العقل في استقلالية بحيث لا أقع في أحد الفخين: فخ الذيلية والتبعية من ناحية، وفخ الانكفاء على الذات ورفض ما يزخر به التراث العالمي من ناحية أخرى.

ويتناول هذا الكتاب سبعة فصول، حيث يركز الفصل الأول على مدخل عام للدراسة من حيث إلقاء الضوء على مشكلة الدراسة وهي القمار والمتغيرات المرتبطة به مثل العنف ووجهة الضبط، ومدى أهمية الدراسة.

وكان الفصل الثاني ليعرض لبعض المفاهيم الخاصة بالقمار بشقيها: اللغوي والنفسي، مستعرضاً تاريخ المقامرة في العصور الماضية، وحديث القرآن عن الظاهرة،

ومعدلات انتشار القمار من واقع الدراسات والبحوث، وأنواع القمار، ومعايير إدمان القمار، وأسباب انتشار القمار بين الشباب، ثم مناقشة لفض الخلاف بين مفهومي المقامرة والمخاطرة، والعوامل المؤثرة في مشكلة المقامرة، والنماذج المفسرة للمقامرة مثل نظرية التحليل النفسي والنظرية السلوكية والتيار الإنساني، ثم النتائج المترتبة على إدمان القمار، ومراحل إدمان القمار، واستراتيجيات الوقاية، وختم الفصل بنموذج علاجي نفسي ديني لإدمان القِمار.

وكان الفصل الثالث ليناقش مفهوم وجهة الضبط ومدى علاقته بالمقامرة، مستعرضاً لمفاهيمه، وخصائصه، ومكوناته، والمتغيرات المرتبطة به.

ثم كان الفصل الرابع ليناقش قضية العنف ومدى الصلة بين العنف والقمار، مستعرضاً لمفاهيم العنف اللغوية والنفسية، وأسباب العنف، ومظاهره.

والفصل الخامس يناقش تلك المرحلة النمائية التي يمر بها كل إنسان وهي مرحلة المراهقة، وقد خصها الباحث بفصل مستقل نظراً لأهمية هذه المرحلة وخطورتها، مستعرضاً لمفاهيمها وأزماتها ومراحل تطورها.

والفصل السادس خاص بإجراءات الدراسة من حيث المنهج المستخدم والعينة وأماكن الحصول عليها، والمقاييس المستخدمة في الدراسة، وتصميم مقياس لقياس إدمان القمار وتقنينه.

والفصل السابع استعرض نتائج الدراسة ومناقشة تلك النتائج بالدراسات العالمية التي اهتمت بمتغيرات الدراسة، في محاولة للنهوض بالفرد والمجتمع.